21

مصطلح الاختلاف وآثاره ودلالاته الفكرية

في منظور القرآن الكريم

د. محمد عبدالله احمد البنجويني

جامعة السليمانية ، كلية العلوم الاسلامية

ملخص البحث

لفظ الاختلاف يدل على التفاعل والمشاركة، فلا يكون إلا بين اثنين فأكثر. ومعناه اللغوي يدور حول الفساد وعدم الفلاح ،والمضادة، وعدم الاتفاق، فكل هذه المعاني يمكن ايرادها في الخلاف والتضاد الذي لا يبني ولا يهدف إلى غاية سامية، ولا يحقق مصلحة للفرد والمجتمع.

وقد استعملت كلمة الاختلاف في بعض الاحيان للتنازع والمجادلة، وليس هو من اللازم ولا من الاطلاق من لفظها، وإنما يعود إلى عرف الناس، لأنه لما كان الاختلاف بين الناس في القول يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة بهذا الاعتبار.

عندما نلقي نظرة متأنية في القرآن الكريم يظهر لنا جلياً أنه ذكر أصنافاً عديدة من مكونات المجتمع، يذكر المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، والمرتدين والفاسقين والظالمين، هذا من جانب، ومن جانب آخر أيضاً يقسم المجتمع إلى فرق، واحزاب، وجماعات،وشيع، وطوائف، وفئات، وغيرها.

ومن جانب آخر يقسم إلى المسالمين والمحاربين، أو الظالمين والطغاة، والمؤمنين والمحسنين، وغير ذلك من التسميات والتصنيفات.

فهذه التصنيفات للمجتمع الإنساني لابد أن يكون لها هدف، وربما غاية عظيمة قد خبأت من ورائها، أو أنها من ورائها غايات وحكم وفلسفة لا يدرك الإنسان جلها .

نشير إلى حكم وأهداف وغايات سمة الاختلاف مما يبدو لنا من خلال التأمل في نصوص القرآن والواقع الشاهد على صنع الله المتقن في نقاط منها:

1- إن ذلك التصنيف مفتاح لكيفية التعامل بين أفراد المجتمع، وأن الفضل في الاختلاف يعود إلى الأعمال والخدمات التي يقدمها داخل المجتمع، فعلى نسبة المشاركة فيها يرتقي إلى درجات انسانية معروفة.

وأن الانسانية إطار واقعي يقع فيه الجميع، فلا يخرج أحد من بني البشر منه، وعليه فلا مجال لاستمرار التناحر والتعارك، وهذا الاطار يوجب التوافق والتحري من توطيد الروابط وتسهيل طرق العلاقات.

2- التوافق الخلقي بين الإنسان والكون:كل شيء في هذا الوجود صغيراً وكبيراً نافعاً وضاراً له علاقة بحياة الإنسان ليساعده على أداء وظيفته بنوع ما.

3- توزيع للأدوار في بناء المجتمع: عندما يتصور الإنسان أنه وحده مكلف بالأمر يكون له سلوك وتصور قد يدفعه إلى الاستبطاء واليأس، ولكنه عندما يتصور أن معه آخرين ولهم دور مثله، انضبط أمر هذا المجتمع، ويتحملون معه المسؤلية، ويخففون عنه مشاق البناء، ثم يكون له سلوك آخر.

4- بيان ما يحل وما يحرم بين بني البشر:من حكمة التصنيف بيان ما يحل ويحرم بين أفراد المجتمع،
5- الحفاظ على الحقوق والواجبات في المجتمع الإنساني: ومن فلسفة التصنيف لأعضاء المجتمع الحفاظ على الحقوق والواجبات.
6- الحفاظ على الهوية الإسلامية:ثقافة الاختلاف تسهم في تدعيم هوية الأمة الإسلامية، وتحافظ على القيم الاصيلة الدافعة إلى احترام كرامة الإنسان.
7- تفعيل دور أهل العلم: أهل العلم في كل زمان ومكان وبين كل أمة وشعب هم منار الهداية إلى الطريق الصحيح،إن كانوا متمسكين بالوحي والمنهج النبوي.
8- معلم لإجراء الحوار والجدال والمحاججة.والهدف من توظيف هذه المصطلحات وأمثالها هي توليد أفكار جديدة وتوضيح المعاني، والوصول إلى الحق في مجال مختلف عليه.
9- طريق لكسب المعرفة وتفعيل العقل:طرق المعرفة هي العمليّات العقلية التي ينجزها الانسان لكسب المعارف، من التفكير، والتعلم، كما أن المعرفة وسيلة من الوسائل التي يَستخدمُها الإنسان للتعرُّف على السلوكيّات المتبعة.

الكلمات المفتاحية: الاختلاف ، الآثار، الدلالة، الفكر.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقة محمد وآله وصحبه اجمعين.
أما بعد:
فإن من سمات خلق الله تعالى الاختلاف في الألوان، والصور، واللغة واللهجات، و والألسنة، والمادة والتركيب وغيرها، كلها تدل على أمر هام وهو أنه من خلق خالق عليم حكيم ، ليس كمثله شيء.
ومع ذلك تدل على أهداف وغايات وحكم غالية نفيسة،يستفيد منها الانسان لممارسة حياته مع الكون و فيه، بصورة مناسبة لائقة لشخصيته.
فقد قال تعالى : { إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}.(1) "إن في تعاقب الليل والنهار، وكون كل منهما خلفا للآخر، وفي اختلافهما بالظلام والضياءِ، ليكون الليل بظلامه قرارًا والنهار بنوره نشورًا، وفي تمايزهما بالزيادة والنقصان بالتداول بينهما - إن في ذلك كله - وفيما خلق الله في السموات والأرض من بدائع رائعة، ومنافع كثيرة، ونعم شاملة لآيات شاهدات بوجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته ووافر فضله ورحمته لقوم يتقون المعاطب تنبههم إلى طريق السلامة."([2])
والقرآن الكريم قد وظف المصطلحات في مواضع مختلفة ، ومعاني متنوعة ، راميا إلى غايات تخدم الانسان، وهذه المعاني بعضها واضحة من منطوق الجملة والكلام،

وبعضها يظهر من السياق الواقع فيه، وبعضها الآخر يتبين من التفكر في ربط الجمل بعضها ببعض.

أهمية الموضوع:

إن من أهداف شريعة الله تعالى تكوين مجتمع سليم قويّ، يتمتع بخلق رفيع، ويعيش مع مفاهيم نزيهة، ومعاني نبيلة، يحافظ فيه على الحقوق والواجبات، يسعى كل أفراده للقيام بوظيفته، ومن ثم يتحرك بسلوك لا يكون كلّاً على الآخرين؛ لأن المجتمع هو الإطار الذي تنظم فيه علاقات الأفراد والجماعات على أساس الحقوق والواجبات والاحترام وتعزيز روح الأخوة والمواطنة، والتعاون على البر والتقوى، وضمان الحقوق لا يقتصر على الحقوق السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية فقط، بل يتعداها إلى الإسهام في البناء المشترك للحياة في ذلك المجتمع، لذا جعل سبحانه وتعالى الأرض مهداً لجميع الإنسان، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا ﴾. (3) وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾. (4)

لو سألنا أنفسنا ماذا لو كان الكون كله بنوع واحد، وصورة واحدة، ولون واحد ، ومادة واحدة؟. هل كان يعتبر كونًا مهداً لإنسان؟ ، هل كان مناسباً للحياة؟.

فالجواب الواحد هو أنه لا بد من الاختلاف والتنوع والتغاير ، ومن الواجب وجود كواكب مختلفة، ونجوم متناثرة، وألوان طيف متوزعة، ومواد كثيرة متوافقة ومتضادة، قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ}.(5)

ربط الله تعالى في هذه الآية بين الحياة وبين فتق هذه الكتلة المتجمعة، فك رتقها ليوجد كونٌ وحياة، فيالها من علاقة تستحق التأمل والتفكر.

ومن هذا الاختلاف نتج انقسام الإنسان بصورة طبيعية إلى حزبين ، حزب الله تعالى الذين يؤمنون به ويؤمنون بنبيه صلى الله عليه وسلم، ويتبعون كتابه، وحزب الشيطان الذين يكفرون ويلحدون ويبغضون النبي صلى الله عليه وسلم، ويتركون كتابه.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك اسباب دعتني إلى الكتابة عن هذا الموضوع نذكر أهمها فيما يأتي:

1ـ الفوضى الفكري المنتشر بين المسلمين في كثير من المجالات ، خصوصاً المجال العلمي والفكري الين هما من أهم مجالات الحياة. فنرى من يتكلم عن الاسلام بإسلوب لا تجد فيه غيره، ومنهم من بالعكس فيفتح المجال فتحاً على مصراعي الباب دون وجود نظام و موانع، كأن الاسلام دين بشر، ومنهم يتكلم حسب المصالح الشخصية والسياسية، فجعلها معياراً للفكر.

2ـ تفسير بعض من المسلمين تلك الآيات بتفسيرات بعيدة عن الوسط العلمي المعاصر ، فلا يرى تفسيراً غير ما فسره العلماء السابقون، فلا يعطون لنصوص القرآن الكريم معاني جديدة في ضوء القواعد والاستكشافات العلمية المعاصرة.

3ـ ابتعاد المسلمين في أغلب قنوات الحياة عن منهج القرآن في ترتيب الحياة ، وتنظيم العلاقات مع غير المسلمين في المجتمعات، والتعامل مع التحزب والحزبية.

مشكلة الموضوع:

شاءت حكمة الله سبحانه أن يقوم هذا الكون على الاختلاف فى كل شئ، فهناك سماء وأرض، وصحراء وبحار، وشمس وقمر ، ونهار وليل ، وشتاء وصيف ، وبرد وحر، وحياة وموت، وثواب وعقاب ، وجنة ونار.

وهكذا فى سائر المخلوقات من النباتات بفصائل مختلفة ومتنوعة، والحيوانات باجناس وأشكال، وللإنسان النصيب الأعظم من هذا الاختلاف والتنوع ،جنساً ونوعاً ولوناً ولساناً وفكراً وعقلاً و غيرها، فوصل الاختلاف إلى إلى الدين والإيمان في القلوب.

ومن وراء هذا الاختلاف حكمة من جعله سنة من السنن الكونية ، لتكون أساس استمرار الحياة ، لأن التدافع الناتج عن الاختلاف بين أهل الحق وأهل الباطل، يكون سبباً لاستمرار الحياة وعدم فساد الأرض، ولأن الذى خلق الخلق على هذا الاختلاف ؛ أعلم بما يضرهم وما ينفعهم ، وبما يصلحهم وما يفسدهم ؛ ولأنه لا يريد لخلقه هذا التطاحن وهذا الاقتتال فيما بينهم بسبب اختلافهم فى الفكر والمعتقد والمذهب ؛ أرسل إليهم رسلاً ، برسالة واحدة.

و ختم الله الرسالات برسالة أبدية ، تتطور وتتجدد بذاتها - فى فروعها - مع تطور الزمن وتغير أحوال الناس ؛ ولهذا كانت هذه الرسالة الخاتمة تصلح لأحوال الناس، وتصلح من أحوالهم ، حتى قيام الساعة.

وبسبب هذا الاختلاف لابد من تنظيم العلاقة بين أتباع هذا الدين الخاتم الذى أراد الله له أن يكون هو الظاهر والغالب ، وبين أتباع سائر الملل والديانات الأخرى ؛ حتى لا تحدث بينهم الفتن والمشاحنات والضغائن ، وإنما ليسود بينهم جميعا السلام والأمن والأمان.

ولكن اليوم نرى أن المؤمنين والمسلمين جعلوا الاختلاف وسيلة للتعارك والتشاجر والتفرق والتشرذم. فأصبح الحزب هدفاً من الأهداف السامية وغاية من الغايات السمينة، يتقاتلون فيما بينهم، بدل أن يسيروا مع هذه السنة الكونية فيقبلوا الاختلاف والتنوع الفكري والعلمي والحزبي، فينسقوا فيما يتفقون ويعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستنباطي الاستدلالي من آيات القرآن الكريم، مؤكداً بأقوال المفسرين ، وآراء المفكرين والباحثين. وركز على آثار المصطلحات، لذا لم يتطرق

إلى الجانب اللغوي والتفسيري لها لأنها معلومة عند الكثير، و عنوان البحث يقتضي ذلك.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى أهداف منها:

1- إلقاء الضوء على فلسفة سنة الاختلاف في الكون والحياة على ما جاء في القرآن الكريم.

2- تبيين الطريقة الصحيحة للتعامل مع التنوع الفكري والديني والسياسي وغيرهما من الاختلاف.

3- بيان منهج التعامل مع الحزبية والتحزب في المجتمعات.

4- استخدام سنة الاختلاف في صالح الحياة والتقدم الازدهار.

خطة البحث:

تطرقنا إلى أبحاث هذا العنوان في مطالب ، فخصصنا لكل منها مطلباً ، ووزعنا المطلب على الفروع والفقرات.

وفي الختام نسأل الله العلي الكريم أن يجعل عملنا هذا لوجهه الكريم ، وأن ينفع به أولاً لي ثم لغيري من أهل الفكر والعلم، إن اصبناه الحق فيه فمن الله تعالى، وإن أخطأنا فمن نفسي العاصية، ارجو الله العظيم أن يغفر لي ويلهمني الصواب. وصلى الله على حبيبي ونور قلبي سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المطلب الأول

مفهوم الاختلاف وفلسفته

أولاً: مفهوم الاختلاف:

لفظ الاختلاف مصدر للفعل (اختلف) من باب افتعل المزيد فيه بحرفين، يدل على التفاعل والمشاركة، فلا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

ومجرده (خلف) يقال: خلف خَلفاً وخُلفاً ،"وخلف فلان فهو يخلف خلوفاً، اذا فسد ولم يفلح، وهو خالف وهي خالفة ، ويقال هو خالفة أهل بيته اذا كان أحمقهم، وعبد خالف أي لا خير فيه".(6)

والخلاف: المخالفة. وقوله تعالى: { فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله }.(7) أي مخالفة رسول الله، ويقال: خلف رسول الله، أي خالفه.(8) "وخَلفَ فوه خُلُوفه وخلوفاً وأخلف إخلافا : إذا تغير ...حدثَتْ له رائحة بعد ما عُهِدَتْ منه، ... وخلف الخالف والخالِفة : الذي لا غناء عنده ولا خير فيه وهو بين الخلافة بالفتح، يقال : هو خالفة أهل بيته،... خلف الخَالْفة : الكثير الخلاف".(9) واختلف الشيئان لم يتفقا ولم يتساويا ".(10)

الخلاف والاختلاف ضد الاتفاق، والخلاف:" أعم من الضد؛ لأن كل ضدين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين"(11).

فظهر لنا مما ذكرنا أن معناه اللغوي يدور حول : الفساد وعدم الفلاح ، والحمق والمضادة، وعدم الاتفاق، والتغير ، وحدوث تغير لم يعهد، وعدم الخير في الشيء، وكثرة المخالفة، فكل هذه المعاني يمكن ايرادها في الخلاف والتضاد الذي لا يبني ولا يهدف إلى غاية سامية، ولا يحقق مصلحة للفرد والمجتمع.

والاختلاف في الاصطلاح: لا يختلف عن معناه اللغوي، فالاختلاف هو : أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الآخر في حاله أو قوله. أو هو : "أن يذهب كل واحد إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .(12)(أو هو: "منازعة تجري بين المتعارضين؛ لتحقيق حق أو لإبطال باطل."(13)

والتعريف الأول عام من حيث سبب الاختلاف، لأن الأخذ بطريقة لا يعني المخالفة والمنازعة، قد يكون لتيسير العمل، وقد يكون لتقويته ، وقد يكون لفضل آخر ، أما التعريف الثاني فقد يركز على وجود سبب وهو المنازعة والتعارض ، وهذا معنى أخص قد يجري في جزئيات مما يطلق عليها.

وجاء تعريف آخر للاختلاف بالتركيز على معناه الصرفي الذي أشرنا إليه في المعنى اللغوي فيقال هو : "افتعال من الخلاف، وهو تقابل بين رأيين في ما ينبغي انفراد الرأي فيه."(14)

ومن هذا المعنى يقال: إن الاختلاف في المذاهب هو ذهاب أحد الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، والاختلاف في الاجناس امتناع أحد الشيئين من أن يسد مسد الآخر،.(15) ويجوز أن يقع الاختلاف بين فريقين وكلاهما مبطل كاختلاف اليهود والنصارى في المسيح.

ومن جدير بالذكر أن نشير إلى استعمال كلمة الاختلاف في بعض الاحيان للتنازع والمجادلة، وليس هو من اللازم ولا من الاطلاق من لفظها، وإنما يعود إلى عرف الناس، لأنه لما كان الاختلاف بين الناس في القول يقتضي التنازع استعير ذلك للمنازعة والمجادلة بهذا الاعتبار.

فيكون لفظ الاختلاف مشتركاً بين معان يقال: (هذا الكلام مختلف)، إذا لم يشبه أوله آخره في الفصاحة، أو بعضه على أسلوب مخصوص في الجزالة، وبعضه على أسلوب يخالفه، والنظم المبين على منهاج واحد في النظم مناسب أوله آخره، وعلى درجة واحدة في غاية الفصاحة، ولذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }.(16) وما جاز من الاختلاف في القرآن هو اختلاف تلاؤم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القرآن ومقادير السور والآيات والأحكام.(17)

وهناك استعمالات أخرى فقد استعمل الإختلاف في قول بني على دليل، و الخلاف فيما لا دليل عليه، وأنّ القول المرجوح في مقابلة الراجح يقال له خلاف لا إختلاف. (18)

ورد (الاختلاف) في القرآن الكريم اثنتين وخمسين (52) مرة، والصيغ التي ورد فيها هي: الفعل الماضي (19) مرة، المضارع (16) مرة، المصدر (7) مرات، اسم الفاعل (10) مرات. وجاء (الاختلاف) في القرآن بمعناه في اللغة، وهو: ضد الاتفاق، وهو أن يأخذ كل واحد طريقاً غير طريق الأول في فعله أو حاله.([19])

ثانياً: فلسفة الاختلاف وتصنيف المجتمعات:

عندما نلقي نظرة متأنية في القرآن الكريم يظهر لنا جلياً أنه ذكر أصنافاً عديدة من مكونات المجتمع، يذكر المشركين، والمنافقين، وأهل الكتاب، والمرتدين والفاسقين والظالمين، هذا من جانب، ومن جانب آخر أيضاً يقسم المجتمع إلى فرق، واحزاب، وجماعات،وشيع، وطوائف، وفئات، وغيرها.

ومن جانب آخر يقسم إلى المسالمين والمحاربين، أو الظالمين والطغاة، والمؤمنين والمحسنين، وغير ذلك من التسميات والتصنيفات.(20)

فهذه التصنيفات للمجتمع الإنساني لابد أن يكون لها هدف، وربما غاية عظيمة قد خبأت من ورائها، أو أنها من ورائها غايات وحكم وفلسفة لا يدرك الإنسان جلها .

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62)}.([21])

فقد ذكر الله سبحانه جماعات محتلفة ، كل بأسمائها، فذكر المؤمنين، واليهود، النصاري، والصابئين، وذكر أعمالاً لو فعلوها لاشتركوا في الثواب والأجر المحدد عليها.

"فهذه الآية الكريمة عامة، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من آمن وعمل صالحاً فهو ناجي من أي أمة من الأمم فهو ناج،....كل من آمن وعمل صالحاً ووحد الله، واتبع النبي الذي أرسل إليه في زمانه فهو من الناجين، ومن لم يؤمن بالله وخالف النبي الذي بعث في زمانه إليه فهو هالك، وكل إنسان مطالب في كل وقت بالتوحيد والإيمان بالله واتباع النبي الذي أرسل إليه، حتى يأتي النبي الذي بعده".([22])

فقد فتح أمام الانسان مفتاح التعامل مع الطوائف والفرق الموجودة داخل المجتمع، بأسلوب يخدم المجتمع ويأمن الحالة الاجتماعية.

1- لا يجوز الحكم المطلق على الكل والنظر إليهم بنظرة واحدة:

لأن لكل طائفة خصائصها وأفكارها، فقد تجتمعون في فكرة وتختلفون في أخرى، وقد تشتركون على عمل وتفترقون في آخر.

كما تبين ذلك جلياً في الآية السابقة، حيث ذكرت المسلمين واليهود والنصاري والصابئة وجمعتهم في أعمال وما ترتب عليها.

"الآية الكريمة لتؤكد أن الإيمان الظاهري لاقيمة له في الميزان الإلهي، سواء في ذلك المسلمون واليهود والنصارى وأتباع الأديان الأخرى....إن الأجر عند الله يقوم على أساس الإيمان الحقيقي بالله واليوم الآخر إضافة إلى العمل الصالح. وهذا الأساس هو الباعث الوحيد للسعادة الحقيقة والابتعاد عن كل خوف وحزن".([23])

والله تعالى قرن الإيمان باليوم الآخر بالإيمان بالله دون بقية الأركان؛ لأن الإيمان باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان، وهو الذي يحمل الناس على العمل؛ لما فيه من الحساب والجزاء على الأعمال.

وأشار القرآن إلى التعامل المناسب والاولى في الدنيا مع هذه الفرق والطوائف في آية أخرى في قوله تعالى: { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (17}.([24])

علمهم أن الفصل الحقيقي إنما يكون يوم القيامة ، وهذا اليوم وهو الدنيا يوم العامل على أساس العلم والدراسة والتوافق والتعاون في الفضائل والدفع الشر عن المجتمع.

وهذه الآية جاءت بعد أن حكى الله في آيات سابقة سوءَ أحوال الكفار تابعيهم ومتبوعيهم والمذبذبين منهم ، وبيّن سوءَ مصيرهم ومنقلبهم، وبيّن حسن حال المؤمنين الصالحين وجميل مثوبتهم، وختم ذلك ببيان أنه تعالى مؤيّد رسوله بالنصر والغلبة في الدنيا والآخرة، وجاءَت هذه الآية الكريمة لتؤكد نصره في الآخرة على جميع الفرق الكافرة، وقد ذكر الله ست فرق يفصل الله بينها يوم القيامة.**([25])**

2- التنويع والاختلاف دليل الجمال:

أكد سبحانه وتعالى على الاختلاف بين الانسان في الطبائع والألوان والألسنة والأقوام والشعوب آية منه سبحانه على صنعه ووحدته، وأن الاختلاف سمة كونية بين بني البشر خاصة، قال تعالى: **{وَمِنَ آيَتِهِ خَلقُ السَّمَواتِ والأرْضِ واختِلافُ ألسِنَتِكُم' وأَلْوَانِكُم'إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ للعالِمِينَ}**([26])،

على كثرة الناس وتباينهم والأصل واحد، ومخارج الحروف من كل واحدة، ومع ذلك لا نجد صوتين متفقين اتفاقاً تاماً من كل أوجه، ولا نرى لونين متشابهين تشابهاً تاماً من كل الأوجه، بل نجد فروقاً أعطت لكل الجمال، ولولا ذلك لما حصل التمييز بين تلك الألوان والاصوات ، ولما حصل الجمال الواقع بين تلك اللغات واللهجات ، ولا رأينا البهجة بين تلك الألوان المختلفة.

"وَلِأَنَّ هَاتِهِ الْأَحْوَالِ الْمُخْتَلِفَةِ لِهَذَا النَّوْعِ الْوَاحِدِ نَجْدُ أَسْبَابَ اخْتِلَافِهَا مِنْ آثَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَاخْتِلَافُ الْأَلْسِنَةِ سَبَّبَهُ الْقَرَارُ بِأَوْطَانٍ مُخْتَلِفَةٍ مُتَبَاعِدَةٍ، وَاخْتِلَافُ الْأَلْوَانِ سَبَّبَهُ اخْتِلَافُ الْجِهَاتِ الْمَسْكُونَةِ مِنَ الْأَرْضِ، وَاخْتِلَافُ مُسَامَتَةِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ

لَهَا فَهِيَ مِنْ آثَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَلِذَلِكَ فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ آيَةُ اخْتِلَافِ اللُّغَاتِ وَالْأَلْوَانِ وَأَنَّ مَا تَقَدَّمَهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَات وَالْأَرْض تمهيد لَهُ وَإِيمَاءً إِلَى انْطِوَاءِ أَسْبَابِ الِاخْتِلَافِ فِي أَسْرَارِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ".(27)

فمن الممكن القول بأن الجمال كامن في الاختلاف، ولا يكتمل الجمال الكوني والصوري والشكلي والجسمي إلا بالإختلاف، كما لا تكبر ولا تزيد المعرفة إلا بالإختلاف، وهذا دليل على كمال قدرة الله سبحانه وعنايته بعباده ورحمته بهم أن قدر ذلك الاختلاف لئلا يقع التشابه فيحصل الاضطراب ويفوت كثير من المقاصد.

"وإن من حججه أيضًا على كمال قدرته خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها، وانتثار كواكبها وأجرامها، والأرض في جبالها ووديانها، وسهولها وهضابها، وبحارها وأنهارها، وقفارها وأشجارها، ونبتها وحيوانها، واختلاف لغات أهلها، وكذلك تباين ألوانهم، ثم نومهم في ليلهم، وعملهم وانتشارهم في نهارهم، كل ذلك آيات بديعة لقوم يسمعون هذه الذكرى ويتفكرون بها."(28)

كما أنه سمة كونية عامة بين جميع المخلوقات،قال تعالى:**{ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ}.(29)**

خلق الله تعالى على هذه الأرض ما يختلف ألوانه وأوصافه، "وفي مقابلة كل من هذه الأوصاف أضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها"،(30) فالجمال في ذلك هو تفسير الكون بعضه ببعض.

وقال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}.(31)

لقد خلق الله كل شيء متضاداً ومختلفاً حتى لا نمل من التكرار والتشابه الذي يفقدنا قيمة ما حولنا، لأن الاختلاف جمال وبهاء وكل مختلف متفرد في بيئته ومتميز بين اقرانه.

لننظر إلى الناس والدواب، والأنعام، ما فيها من اختلاف مرئي بالأبصار، ومشهود للأنظار من الألوان والأشكال والأوصاف والأصوات والهيئات وغيرها، ، وأصل كل منها واحد ومادتها كذلك، فاختلافها وتفاوتها دليل عقلي وواقعي على ارادة الله تعالى ومشيئته وصنعه الهادف إلى جمال الحياة، ومصالح ومنافع الانسان.

التنوع والاختلاف له صلة قوية مع طبيعة الإنسان، لأن"التنوع هو دون شك من متطلبات البشر، وحبّ التنويع خصلة طبيعية فيه، والإنسان إن استمرّ على تناول طعام معين لمدّة طويلة يمل ذلك الطعام.... ولكن لو علمنا أنّ الحياة الإنسانية تقوم على أساس حقائق هامّة لا يمكن التخلّي عنها، هي الإيمان والطهر والتقوى والتحرّر. وقد تمرّ الجماعة البشرية بمرحلة يتعارض فيها هذا الأساس الهام مع متطلبات الإنسان من الطعام والشراب واللذائذ الأخرى.

وهنا تصبح الجماعة أمام خيارين، إمّا أن تنغمس في اللذات وتترك قيمها وشرفها، أو تضحي بلذّاتها من أجل إنسانيتها وكرامتها."([32])

وهذا يكون مفتاحاً لكسر الشهوات وتعديلها أمام التنوع في اللذات والانغماس فيها، فينبغي التضحية ببعضها لغاية سامية، وقيمة انسانية كبرى.

وإذا أعملنا العقول فنتعلم بفكرنا الصائب وجه الحكمة فيها، نعيش في مجتمع واحد ومنطقة واحدة، متشابهين في الهيئة والألوان، ومختلفين بعقولنا وفكرنا وصفاتنا، وهذا الاختلاف فتح طريق القبول للآخر لما نلمسه فيه من جمال وبهاء.

ومعلوم أن جمال الحياة في أنها بُنيت على الاختلاف، وكلما كنا مختلفين كنا اكثر ظهوراً ، وجمالاً ، ونماءاً ، فليس من العجب ان يختلف الناس في ميولهم واذواقهم ولكن بالأحرى العجب أن يتخاصموا من أجل هذا الاختلاف.

والقرآن أرشدنا إلى أن الاختلاف هو الاصل في يقظة العقل والفهم ، والوعي وتجدد الأفكار، وتطور الحياة ، والتربية الحقيقية الراقية، تظهر عند الاختلاف؛ لأن حالة الاتفاق لا تحرك العقول لتظهِر رأياً أجود وأفضل من الآخر.([33]).

لقد قال هيغل: "وإذا انتقلنا من الأفراد وأذواقهم الجزافية، إلى التأمل في الأذواق الملحوظة في أمم شتى لوجدنا أنها بدورها تختلف من أمة إلى أمة أخرى.. وأن مفهوم الصيني عن الجمال يختلف عن مفهوم الزنجي، وأن لهذا الأخير طبيعة مغايرة لطبيعة الأوربي، وبالفعل".([34])

ولكن كل هذا لايعني التخلي عن قيم التعامل بالأحسن واعطاء المجال للآخر ليفكر حسب ما يذهب إليه فكره، وليس من المعقول رفض ما سماه جمالاً لعدم موافقته مع ما أسميه أنا جمالاً، أو لمغايرة طبيعته معي.

3- الاختلاف يدل على وجود متفق عليه:

علمنا مما سبق أن الاختلاف هو ميزة كونية وخلقية بين المخلوقات، وليس سبباً للعنصرية والتفرق، مثلما يرونه الكثيرون فيحذفون الآخر من حياتهم، وجود هذا الاختلاف دليل عى وجود متفق عليه بين المختلفين، وهو وجود شييء موصوف بالإنسانية، وكذلك وجود شيئ موصوف بالمتخلف عليه، فهناك موجود اتفاقاً وهذه هي النقطة الأولى للتعامل مع الاختلاف فيه.

فلم لا نلتفت إلى هذا الجانب، فنتقاسم المختلف فيه بالرحمة والمحبة، وننبذ الكره والعداء ، فما أجمل الاختلاف بهذا المنظار، وما أجمل التسامح والتصالح والاحترام في التعامل معه.

قال تعالى:**{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}**.([35])

"وما أنزلنا عليك القرآن أيها الرسول لسبب من الأسباب إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من التوحيد واليوم العظيم الذي هم فيه مختلفون، كما تبين لهما النافع والضار من

الأخلاق، والحلال والحرام من الأعمال، وأَنزلناه أيضا للهدى والرحمة لقوم يؤمنون، فإنهم المنتفعون بعلومه. "([36])

بيان النبي صلى الله عليه وسلم ، للذي اختلف فيه المسلمون، ماهو إلاّ بيان لموجود اتفقوا عليه أنه من الله تعالى، والقرآن يثبت هذا عندما يقول: **{ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ}**، اختلافهم علي شيء دليل اتفاقهم على وجود، وهو الموصوف عندهم بالمختلف فيه.

"فوظيفة الكتاب الأخير والرسالة الأخيرة هي الفصل فيما شجر من خلاف بين أصحاب الكتب السابقة وطوائفهم . إذ الأصل هو التوحيد ، وكل ما طرأ على التوحيد من شبهات وكل ما شابه من شرك في صورة من الصور ، ومن تشبيه وتمثيل . . كله باطل جاء القرآن الكريم ليجلوه وينفيه."([37])

وما شجر بينهم أمر موجود متفقون عليه، ولكن اختلافهم هو فيما وقع فيه الشك والشبهة، والتمثيل له بما يناقضه محاولة للفهم والادراك.

واذا نظرنا إلى القرآن الكريم نجد أمثلة كثيرة لهذه الحقيقة، مثلاً الناظر في المخلوقات يجد أنّ الاختلاف يتمثّل بخلق الثنائية في الكون ، مثل الرضا والغضب، والفرح والحزن، وفي السماء والأرض، والبر والبحر، وفي الناس كالذكر والأنثى، وفي أوصافهم كالغنى والفقر، والقصر والطول، والذكاء والبلادة، كل هذه الأوصاف دليل على موصوف موجود بهذه الصفات متفق على وجوده، يقول الله تعالى:**﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾([38])**

وهذه الزوجية في المخلوقات وفي الناس بشكل خاص تدلّ على أنّ هناك إلهٌ واحد قد اختار الزوجية في المخلوقات ليطبّق سنة الاختلاف بينهم، فأصبح يدل على وجود الزوجية متفق عليه في الجميع، كما يدل مباشرة على صاحب هذا النظام، وهو الإله الواحد الذي جعل الاختلاف بين الناس دليلاً على استحقاق العبادة والشكر والحمد.

ولو تعمقنا النظر في قوله تعالى:**{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ}**.([39])

نرى أن اقتتال الذين من بعدهم ، اختلاف على اتباع رسل اتفقوا على وجودهم ، كانوا بينهم، "ولو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بأن جعلهم متفقين على اتباع الرسل الذين جاءوا بالحق من ربهم، .... فمنهم من آمن بما جاء به الرسل، ومنهم من كفر بذلك كفرانا لا أمل معه في هداية".([40])اختلفوا في وصف نبوتهم وما جاء إليهم من الله تعالى.

وتوضيح ذلك "أن الله جعل للإنسان عقلا يتصرف به في أنواع شعوره، وفكرا يجول به في طرق معيشته ومعرفة ما يصلح له في شئونه النفسية والبدنية، وجعل ارتقاءه فى إدراكه وأفكاره كسبياً، فهو ينشأ ضعيف الإدراك ثم يقوى بالتربية والتعليم

وتجارب السنين، كما جعل هداية الدين له أمرا اختياريا يأخذ منها بقدر استعداده وفكره كما هو شأنه في الاستفادة من منافع الكون، وهذا هو منشأ الاختلاف."([41])

والله سبحانه وتعالى "أنزل الكتب على رسله بالحق، وهؤلاء كتموا العلم الذي فيها بغيًا وظلمًا"،([42]) وهذا البغي هو الذي يمنع من الاتفاق في المسائي التي ورائها دليل حتمي وقطعي.

كما أكد ذلك تعالى في قوله:**{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (176)}**.([43])

"ولم تغن وحدة جماعة الرسل في طبيعتهم ، ووحدة الرسالة التي جاءوا بها كلهم . . لم تغن هذه الوحدة عن اختلاف اتباع الرسل حتى ليقتتلون من خلاف".([44])

4ـ الاختلاف يثبت حاجة الانسان إلى غيره:

من المسلم عند الجميع واقعياً أنّ الإنسان لا يستطيع لوحده أن يلبي جميع حاجاته، بل حاجات يوم واحد من أيامه، فهو يحتاج في كسب الحاجة إلى كل من يمكنه انجار تلك الحاجة من الصناع، والتجار، النجّار، والخباز، والمزارع، والبياع و غيرها ، ومعلوم أن رجلاً واحداً لا يستطيع أن يقوم بكل هذه الأمور، إضافة إلى ذلك اختلاف الناس فيما يتقنون من الأعمال، فمنهم يتقن صنعة من الآخر ولا يتقنها هو كاتقانه لها، فأصبح الاختلاف بين الناس سبباً في نشوء صناعات مختلفة، ومن ثم درأ حاجات الانسان في مجالات مختلفة.

يقوم كل إنسان بنفع إخوانه بأن يقدم لهم ما يتقن من الصناعات، وهم يتقنون صنعة أخرى يقدمونها لمن يحتاج إليها، فاختلاف الناس كان رحمة بهم، إذ أوجد التكامل بينهم ممّا سهل عليهم عمارة الأرض بإنشاء المجتمعات المتكاملة فيما بينهم.

قال تعالى: **{ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)}.** ([45])

وقد شاء الله تعالى أن يجعل البشر جميعاً أولهم وآخرهم ، نتاج أسرة واحدة صغيرة مكونة من زوجين ، ليقرر مبدأ الأسرة في حياتهم ، وليجعلها هي اللبنة الأولى لتعلم مبادئ العيش السعيد . وقد غبر عليهم عهد كانوا فيه في مستوى واحد من التصور والمعرفة، واتجاه واحد من العمل والصنعة ، وتصور واحد في نطاق الأسرة الأولى من التربية والتعايش.

حتى نمت فيهم وتعددت الافكار والحاجات وكثر أفرادها ومقتضياتها، وتفرقوا في المكان والمناطق، وتطورت معايشهم وحاجاتهم اليومية؛ وبرزت فيهم الاستعدادات

المكنونة المختلفة من كل لما يتقنه ويسهل عليه عمله ، اولتي فطرهم الله عليها لحكمة يعلمها ولملكه زرعها فيهم ، ويعلم ما وراءها من خير للحياة في التنوع في الاستعدادات والطاقات والاتجاهات .([46])

وترشد الآية إلى أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ النَّبِيئِينَ لِإِصْلَاحِ الْفِطْرَةِ إِصْلَاحًا جُزْئِيًّا، فَكَانَ هَدْيُهُمْ مُخْتَلِفَ الْأَسَالِيبِ عَلَى حَسَبِ اخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ وهي مختلفة، وَالْأَهْلِيَّةِ وهي متنوعة، وَشِدَّةِ الشَّكَائِمِ التي لا تنتهي فالعارضة التي تكون حاجة تحتاج إلى من يقوم بتكوينها وتفعيلها ، .....وَأَنَّ تعالى بَعَثَ سيدنا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم ، لِإِكْمَالِ ذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الذي يتهدي كل إلى ما يتقنه ويشعر كل بمقام الآخر، وَإِعَادَةِ النَّاسِ إِلَى الْوَحْدَةِ عَلَى الْخَيْرِ وَالْهُدَى. (47)

إن مشكلة الأمة الإسلامية اليوم ليست في ترجيح أحد الرأيين أو الآراء في القضايا المختلف فيها، ولكن مشكلة الأمة حقا في تضييع الأمور المتفق عليها، والانشغال بما ليس مهماً بالنسبة لهم في هذه الحالة، فتركوا القضايا الكبيرة التي يحتاج إليها الكل وهي من صلب الحياة والمعايشة السعيدة.([48]).

ومن هنا نعلم أن الله تعالى جعل ذلك الاختلاف لحكم بالغة وعالية وغالية، وحددها في الاشياء من الخلق والألوان والأشكال وغيرها، أراد الله بنا أن نلتفت إليها ونتعمق النظر فيها، فنثري ثراء التنوع، و نقوي قدرة التنوع المعرفي والفكري الاحساسي والحاجي الذي هو ابن أصيل للاختلاف.

لنجعل حياة الإنسان على الأرض حياة فيها من الثراء الفكر الابداعي، والتغايير الداعي إلى توفير المستلزمات ، بقدر ما فيها الضبط من الاختلاف ذاته على مستوى الرؤى والعمل، ومستوى الأفكار والتفكر ، ومستوى التصورات والتصديقات.

المطلب الثاني

آثار الاختلاف ودلالاته الفكرية من منظور القرآن الكريم

وهنا نود أن نشير إلى حكم وأهداف وغايات سمة الاختلاف مما يبدو لنا من خلال التأمل في نصوص القرآن والواقع الشاهد على صنع الله المتقن في نقاط منها:

1- إن ذلك التصنيف مفتاح لكيفية التعامل بين أفراد المجتمع، وسبيل لمعرفة سبل تنظيم العلاقات بين اطياف المجامع الإنساني .

لقد يفترق إنسان عن إنسان، وشعب عن شعب، وأمة عن أمة، في بعض السمات الشخصية، والعادات المعروفة المحكمة، وفي مدى العلم والثقافة والجهل، ومدى الهدى والضلال، والاستفادة من الموارد الكونية لصالح الحياة، ولنكه في مجموعه، وفي جميع حالاته، وكل مواقفه هو الإنسان، والدائرة التي يدور فيها واسعة ومتباينة الأجزاء حقاً، ولكنها في النهاية هي الدائرة الإنسانية المرسومة منذ الخلق (49).

والأمة لابد أن تكون حريصة على سلامتها الجسدية والعصبية والفكرية، والعقائدية، والسياسية، فلا تبيح لفرد أن يجاهرها العداء، وأن يخلق في داخلها البلبلة والفتنة، وذلك عن طريق معرفة سبل التعامل الصحيح الكفيل بجلب الخير، وإبعاد الشر، وهذا ما يرمي إليه الإسلام من خلال عرضه لهذه التصانيف في المجتمع، فقال تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ . (50) هنا دعا سبحانه وتعالى إلى الاجتماع لغرض التفاهم، ومناقشة المسائل المختلف عليها، والاتفاق على ما يهمّ الجميع . إن المحاجّة في المسائل العقدية التي صارت من معاضل الأمة، وعلم أنّ المخالفين لا يذعنون للحق فيها، فالحل المناسب هو أن يدعوا إلى المباهلة(51)، فلا يبادلون حجة بحجة ،لأنهم لا يؤمنون بحقيقة ما يقولون، وإن كانوا يعلمون.

المجتمع إطار يقوم على عقيدة وفكرة وقيم ،منها تنبثق نظمه، وتقام العلاقة بين أبنائه من المسلمين والمواطنين الآخرين على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والبر والرحمة، وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ

ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾، (52) هذه الآية توثق المجتمع وتربطها بروابط عديدة منها:

- رابط مصدر الوجود وهو الخالق المربي المفهوم من قوله تعالى:**(اتقوا ربكم).**
- رابط الأصل البشري الذي هو الخلق من مادة واحدة المفهوم من قوله تعالى:**(من نفس واحدة).**
- رابط الأسرة المكونة من زوجين المفهوم من قوله تعالى:**(وخلق منها زوجها).**
- رابط الشعوب والقبائل المفهوم من قوله تعالى:**(وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً).**
- رابط الإنتماء والقرابة والصلة المفهوم من قوله تعالى:**(والأرحام).**

وأكدت على تلك الروابط واثبتتها بقوله تعالى:(**يأيها الناس**): الشامل للبشر جميعاً مؤمنهم وكافرهم، خطاب عام للجميع.(53) وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(54).

هذا النوع من النداء نموذج لضروب النداء القرآني، الذي يوضح أن الإنسانية معنى مشترك، يتساوى سكان الأرض في حقيقته (55). وأن الفضل في الاختلاف يعود إلى الأعمال والخدمات التي يقدمها داخل المجتمع، فعلى نسبة المشاركة فيها يرتقي إلى درجات انسانية معروفة.

وأن الانسانية إطار واقعي يقع فيه الجميع، فلا يخرج أحد من بني البشر منه، وعليه فلا مجال لاستمرار التناحر والتعارك، وهذا الاطار يوجب التوافق والتحري من توطيد الروابط وتسهيل طرق العلاقات و الاجتماع حول الغايات والأهداف السامية التي تعمل من أجلها الجميع.

أما الاختلاف في الألوان والألسن واللغات فقد قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (56).

هذا الاختلاف يدل على آيات عديدة تثبت حقيقة الخالق، وظيفتها هو معرفة الخالق، وما كلف به من الواجبات والأوامر، والقيم والاخلاق، والعلماء مكلفون بالدراسة فيها واستكشاف الحقائق منها، فقد خص الله تعالى العلماء؛ لأنهم أهل النظر والاستدلال، دون الجهال المشغولين بحطام الدنيا وزخارفها،(57) هؤلاء هم أمان الأمة في كل زمان ومكان، والتعبير القرآني يدل على أن العالم الحقيقي هو الذي يقوم بوظيفته، لا الذي ينشغل بالدنيا إنشغال العوام ، ويبتعد عن وظيفة العلم ابتعاد الكسالى عن العمل.

وبالنسبة إلى الاختلاف في الشعوب والقوميات فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا ﴾.(58)

لقد رأينا في الآية الأولى أنه سبحانه جعل الاختلاف سمة من سمات التفكر والتأمل في الكون والإنسان، لكي يعرف من خلاله الخالق الحكيم، فقد وظف ذلك الاختلاف في كسب المعرفة والعلم ، وتربية العقل والفكر من خلال النظر في المخلوقات كلها التي تدلّ على حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، ومن ثم تتفاعل الأنفس والألوان، والألسن، واللغات، فتعبر كل منها عن هذه الحقيقة حسب فهمه وعلمه.

كما أنه تعالى قد وظف الاختلاف في الشعوب والقوميات في قضية مهمة جداً، ألا وهي التعارف، فالآية تعترف بتعدّد الجنسيات، وتعدّد اللهجات، وتعدد الأفكار، وتعدّد القوميات، وتعدّد العرقيات، كلّ هذا مقبول، والآية تقول: ﴿ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ ﴾، وتريد أن توجه هذا الاختلاف في الاتجاه الإيجابي .... كسنة كونية لابد من أن يكونوا مختلفين، لماذا؟ لتعارفوا، ....وكلمة ﴿ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ كلمة واسعة في اللغة العربية ، فهي تعني: تتبادلوا المنافع وتتفاهموا، تستفيدوا من أفكار بعضكم البعض، فتلاقي الأفكار مقبول، وتبادل المنفعة الاقتصادية مقبول، ... فهذه إذن حكمة الكون، لماذا خلق الله الأرض؟ لإعمار الأرض واصلاحها، وكيف تعمر وهم غير مختلفين بعضهم عن بعض، ليتبادلوا الثقافات والأفكار والمنافع، فاضحى الاختلاف هو الهدف من الخلق (59).

وأهل النظر الثاقب يعرفون مصداقية كلمة لتعارفوا، فيفتحون أمام القوميات واللغات والعرقيات المجال لتعارف تهدف إلى التقدم والازدهار والتكامل والتناظم مع نظام الكون المختلف المرتب ترتيباً يخدم دون كلل وملل وتوقف جميع البشر.

هذا التعارف مفتاح لحل كثير من المشاكل العالقة بين تلك القوميات، مفتاح يفتح أقفال المغلقة المصدأة الماضية عليها زمناً طويلاً.

فالإيمان بالاختلاف في نفسه أسلوب حضاري لحل تلك المشكلات، وهو الكفيل بتغيب العنف والحقد وغلو الأنانية في النفوس ، يثبت أن الحقيقة لا يمكن أن تكون ملكاً خاصاً فقط لشخص وقوم وفئة ولغة ، بل إنها تتحقق من أفكارهم وتفاعل تجاربهم وتبادل آرائهم ، واحتكاك بعضهم ببعض ، من خلال هذه الثقافة يتبين له كيف يتنازل عن تعصبه وأنانيته وتعاليه؛ لأن الاختلاف ووجوب الالتقاء مع الآخر والتفاهم معه تترك دائماً في داخل أنفسهم هامشاً للخطأ والصواب.

والنبي صلى الله عليه وسلم إلتزم هذه الثقافة وعلم المجتمع أن الناس مهما اختلفوا في الألوان والأجناس والأديان يمكنهم الإجتماع على أرضية مشتركة وساحة واحدة ، وذلك من خلال التعارف الدافع إلى الاحترام المتبادل فيما بينهم ، فقد قال: (قَالَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا حَتَّى تُخَلِّفَكُمْ). (60)

أعلم الجميع أن الاختلاف لا يعني رفض الكرامة والمساس بالاحترام، وإخراجه لآخر عن دائر التعامل بالحسنى.

(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ مَرَّ (مَرَّتْ) بِنَا جَنَازَةٌ فَقَامَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُمْنَا بِهِ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُ الْجِنَازَةَ فَقُومُوا).(61)

اختلاف الدين لا يعيق أمام الفضائل والتعاون على البر والتقوى، واظهار الاحترام وتبادله بين أفراد المجتمع.

(عَمْرُو بْنُ مُرَّةَ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا (عَلَيْهِمْ) بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا ، فَقِيلَ: لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالَا: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ: لَهُ إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟.)(62)

النفس الانسانية هي العلة الدافعة إلى الاجتماع والتوافق، والاختلاف لابد أن يكون باباً واسعاً إلى التعارف الواسع في جميع المجالات، من الصناعة إلى التجارة إلى المجالات الاجتماعية وغيرها.

هذه في قمة العظمة التي أظهرها النبي صلى الله عليه وسلم في احترامه للذات الإنسانية بغض النظر عن الملة والدين.

ومن أجل التخلص من الآثار السئية والسلبية التي تترتّب على الاختلاف والتوزيع على هذه الفرق والجماعات والنوعيات، أشار سبحانه وتعالى إلى جملة قواعد منها:

- التعاون على البر والتقوى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾. (63)
- الأخذ بالعفو والصفح ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾. (64)
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾. (65)

2- التوافق الخلقي بين الإنسان والكون:

كل شيء في هذا الوجود صغيراً وكبيراً نافعاً وضاراً له علاقة بحياة الإنسان من جانب، ومن جانب آخر ليساعده على أداء وظيفته بنوع ما، ومن تتبّع ما يوجد في الكون يجد فيه أن منظر الربيع بما يضمه يبتدئ فيه من حياة، ومنظر الخريف بعكسه، يتغير فيه وجه الأرض ويستعد للموت، ومن تأمل في النافع والضار من المخلوقات يتبين له حكمة هذه الأضرار في مخلوقات الله وضرورتها وفائدتها.

كما أنه في تقلب الكون والسياحة في احضان الطبيعة في ليإليها ونهاراتها، وظاهرها وباطنها، يرى أن هذا الكون مع تباعد ارجائه، واختلاف مادته وأحيائه هو شجرة متناسقة تؤدي وظيفتها بدقة واتقان(66)، كذلك خلق الإنسان باطياف مختلفة، وافكار متباينة، تنسيقاً بينه وبين الكون وتعليماً له بأن الإنسان جزء من هذا الخلق ليس منفرداً عن المخلوقات الأخرى البتة، بدعوى أنه نوع مختلف من حيث الخصوصيات؛ فإننا نرى أنه سبحانه وتعالى يشير إلى هذا التوافق الموجود بين الإنسان والكون في القرآن الكريم، فقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ

يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ (67)، فقد نسق بين ما في السموات والأرض، وبين ما يخفيه الإنسان في نفسه وما يبديه، كذلك قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ .(68) فيربط بين علم الله تعالى بأسرار الإنسان، وعلمه سبحانه وتعالى بأسرار الكون، ويقول تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ﴾ (69)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾ . (70)

ويوضح ذلك في قوله تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۚ وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ ﴾ .(71)

ومن هنا سخّر سبحانه وتعالى الكون ومافيه للإنسان نعمة منه، وترسيخاً لمعاني التوافق والتنسيق بين الإنسان والكون، قال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾.(72)

ألهم الإنسان كيف يتصرف ليتخلص من كل الأخطار، ومن كل المشاكل، ليصل إلى شاطىء الأمان بسلام..وهذا التسخير جعل الموجودات خادمة لهم، وخاضعة خضوعاً قسرياً لإرادتهم، فلهم أن يستفيدوا من كل القوى الموجودة وتستمر الحياة بما يكفل لهم الراحة والطمأنينة. (73)

وأكد القرآن على هذا التنسيق الجاري بين كافة المخلوقات في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ .(74) وقال تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ ﴾ .(75) والخلافة بمفهومها الحضاري الذي يعني: تحقيق العبودية لله تعالى والسيادة في الأرض عبر التوافق، والإنسجام مع سنن الكونية والتشريعية (76).

3- توزيع للأدوار في بناء المجتمع:

عندما يتصور الإنسان أنه وحده مكلف بالأمر يكون له سلوك وتصور قد يدفعه إلى الاستبطاء واليأس، ولكنه عندما يتصور أن معه آخرين ولهم دور مثله، انضبط أمر

هذا المجتمع، ويتحملون معه المسؤلية، ويخففون عنه مشاق البناء، ثم يكون له سلوك آخر.

إننا نؤمن إيماناً لا يخالجه شك بأن الإنسان الفرد هو الأصل الأصيل لكل عملية صناعية وحضارية، وكان هكذا على مر التأريخ، والإسلام ليس نشازاً في هذا المجال، بل لعلها من أكثر الأديان إهتماماً بالإنسان ودوره في بناء المجتمع الإنساني، لهذا لا يعفيه ابتداءً من أية مسؤلية تحت أي شعار فيقول:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾،(77) وقال تعالى: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ .(78)

يخوض معركة الحياة، فيبني المجتمع بصبغة حقيقة يمثل حقيقته، لأن الحقيقة الحقيرة أقدر وأقوى من الصورة العظيمة المهيبة، كما أن طفلاً صغيراً يقدر أن يسقط أسداً ميتاً محشوّاً بالليف والقطن بيده الضعيفة الناحلة؛ لأنه يحمل حقيقة ولو كانت صغيرة، والأسد ليس إلا صورة ولو كانت مهيبة، فالصورة لا تستطيع أن تسدّ مكان الحقيقة وتنوب عنها في أداء دورها. ([79])

خلق الله الإنسان مختلفين سلوكاً ومزاجاً وميولاً ورغبات، فالشيء الذي تصبو له و إليه لا يعني شيئاً لغيرك وما لا قيمة له للآخرين، يميل شخص إلى لون، ويطعن آخر في بريقه لأنه يؤلمه ويزعجه، يميل آخر إلى الانفراد بالذات بعيداً عن صخب الحياة و الآخر يدعو الله أن يعافيه مما ابتلى به من العزلة والانفراد.

فالإنسان إذا لم توظف طاقاته في وظائفها الموكولة إليها لا يمكنه أن يمثل الحقيقة في الوجود، بل وجوده يكون صورياً، لهذا صنع الله تعالى صنعه المتقن الحكيم، فقسم الأدوار وسمّى لكل مهمة اسماً. وعين الأصناف وحددهم ليعلم كل وظيفته، وصيفتها وكيفيتها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ .(80)

إن الله تعالى يخاطب الرسل، فيأمرهم بأوامر، والأنبياء هم من ضمن الإنسان مكلفون بأمر الرسالة وحل المشاكل، وتصحيح منهج الحياة من خلال الوحي، ثم إن الله تعالى يحمل المسؤولية على كل من الاحزاب والجماعات، ويفرق بين المحسن والمسيء، وهذه الآية تكشف حقيقة الكثير من الإنسان والفئات التي لا تؤدي وظيفتها، ولا يحافظ على مسؤوليتها، ليس ما يعتقده ويدعيه كما يعمله في الواقع والمجتمع، والمقياس الاجتماعي الذي يميز المحسن من المسيء، والصادق من المنافق هو ما يقوم به في الواقع .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾. (81)

إن فقه الاختلاف وقبوله، والتحلي به في الحياة بين المجتمعات ضمان لبقاء الأمة أمة واحدة، لأن تقطع الأمر واقع بين الأمم ، كلما جاء نبي برسالة صدقه بعض وكذبه آخرون، وتفرقوا في الدين واحد ، جعلوه قطعة قطعة، أخذ جماعة قطعة، والأخرى قطعة أخرى،[82] (وقد يكون التقطع تقطع أمر الإدارة والسياسة، وولاية الأمور العامة، وقد يكون عن طريق استراد افكار واشاعات وقوانين مخالفة للأعراف والآداب العامة.

، ففقه الاختلاف ملزم لأمة أرادت استشراف المستقبل بأمان، وتقصد التصدر في مقدمة الازدهار، حيث أن فكر المخالف وآراءه منبع إلهام وصرح لنحت الأفكار وسبب عظيم من أسباب الازدهار، وإحياء لروح التسامح في الأمة ونبذ الكره والتباغض، وبث روح الأخوة والمودة بين المسلمين قاطبة.

وإدراك معالم الاختلاف وجهة مشروعة وجب استثمارها في صالح الأمة،لأن حجر الأذهان، وصمم الآذان، و حجز العقل لا يؤتي إلا الضعف والوهن والتشرذم.

تبين مما سبق أن أثر الاختلاف هو التنوع والثراء والحيوية والمرونة والتغيير والتجديد والتكامل والتقدم والإنتاج؛ لأننا مختلفون في التفكير، والتحليل، نتفاعل فيما بيننا فينتج منه شيء آخر جديد بالنسبة إلينا.

ومعلوم أن أقوى تفاعلات هي تلك التي تجري بين مادتين مختلفتين ، كما نرى تلك التفاعلات بين الموجب، السالب، في الطاقة توليد الكهرباء.

لذلك الاختلاف حلقة إذا فقدت بين البشر تتعطل الحياة، ويتوقف التقدم والازدهار.

4- بيان ما يحل وما يحرم بين بني البشر:

من حكمة التصنيف بيان ما يحل ويحرم بين أفراد المجتمع، فعندما يذكر سبحانه وتعالى مكونات الأسرة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع، يقصد من ذلك بيان من يحل فيما بينهم لتكوين الأسرة، ومن ثم المجتمع، فقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.(83)

وبهذا البيان الو اضح يتبين مدى الحل بين هولاء الذين عليهم المسؤولية والأولوية في بناء الأسرة، كذلك تتبين فلسفة الزواج، وتكوين الأسرة من الحفافظ على العفاف،

والنوع الإنساني، والنسب الدال على نزاهة المجتمع وعراقته، وربط الأسر والقوميات والهويات التي عرف بها ذلك المجتمع.

يعتمد مستقبل المجتمعات في بقائها على القيم، وهي تؤثر في أدق وظائف الإنسان، لذلك فهي تحتل المكانة الأولى في الحياة، لأنها تقرر نوع السلوك الفكرية والعلمية في أفراد المجتمع، وهما تعتبران حلقتين داخليتين من السلوك: حلقة الفكر، وحلقة الإرادة، فالأولى: تعمل على التفكير بمصادر حاجات الإنسان، والثانية: تعمل على التوجه لمصدر هذه الحاجات، ثم يتلو ذلك تحرك الإعطاء لتناول هذه الحاجات.(84)

5- الحفاظ على الحقوق والواجبات في المجتمع الإنساني:

ومن فلسفة التصنيف لأعضاء المجتمع الحفاظ على الحقوق والواجبات، فإن الحقوق هي مبادئ إنسانية اجتماعية اقتصادية وسياسية ، مني بها الإنسان منذ أن خلقه الله واكرمه، فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾.(85) وهذه الحقوق ليست مجرد حقوق شخصية، بل لها مدلولات اجتماعية وسياسية في إطار واسع، تشتمل على حقوق الأفراد والجماعات، بصورة متوازنة، تتسع بقدر سعة الدائرة الإنسانية وحتى الحيوانية، بل أوسع من ذلك.

وبموازاة الحقوق تاتي الواجبات مقارنة لها، تدل على اعتبار الحقوق مسببة عن الواجبات من حيث الكم والنوع، وجعل الفرد والجماعة والدولة مسؤلاً عن المحافظة عليها، لأنه من دونها لا يتمكن الفرد من التمتع بالحقوق المالية والالتزأم بالواجبات.(86) فقال تعالى في معرض الحفاظ على الحقوق المالية:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾. (87) وكذلك يقول تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾. (88)

فعلى قدر أداء كل فرد الواجبات تكون الحقوق التي يحصل عليها، وقد لخص ذلك في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾. (89)(90)

6- الحفاظ على الهوية الإسلامية:

ثقافة الاختلاف تسهم في تدعيم هوية الأمة الإسلامية، وتحافظ على القيم الاصيلة الدافعة إلى احترام كرامة الإنسان ، وحريته وحقه في المشاركة والاتصال والتعليم والحياة الكريمة ، كما تعمل على ترسيخ التماسك الاجتماعي، بالتسامح ، والتنوع ،

والانفتاح على متطلبات العصر وضرورات غرس القيم الإنسانية بين المكونات ، وتدفع الحاملين لهذه الهوية إلى مقاومة كل دعاوى التغريب بكل ما أوتوا من قوة فكرية وعقلية والعلمية، ويتحدون الافكار الهدامة والذوبان في الآخر مهما كلفهم ذلك.

ومن المسلم عند الجميع أن الهوية الإسلامية هوية قوية ذات مقومات راسخة في النفوس وعمق المجتمعات الاسلامية، تجمع وتضم جميع مقومات الهوية الذاتية والتي يجدر بالمسلم الحفاظ عليها.([91])

الايمان وأركانه هو الركن الأهم على الإطلاق، في هوية المسلم، لأن هويتها تعني انتماؤه إليه، كما يظهر هذا من موقف الصحابي الجليل الذي نطق بجمل أمام قائد الفرس الذي كان يفتخر بقوته العسكرية والسياسية، حين سئل: ما الذي دفعكم وجاء بكم إلينا؟ فقال: **"الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله منا؛ قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه، ومن أبى؛ قاتلناه حتى نفضي إلى الجنة أو الظفر "**.([92]) هذا الموقف إنما جاء نتيجة اختلاف بين ذاك القائد وهذا الصحابي، اختلاف فكر وعقيدة ولغة.

والتاريخ يشهد على أن إلتزام المسلمين وتضامنهم وتمسكهم بهويتهم كان أكبر عقبة في طريق أعداء الإسلام.([93])

لذا يمكننا القول بأنّ الاختلاف هو فى نفسه آلية من آليات الحفاظ على الهوية الإنسانية والاسلامية معاً ، يمثل أساس مشروع الإصلاحات والتحولات الإيجابية في المجتمع ، فلا تطوير لأوضاع الأمة بدون صيانة الكرامة الإنسانية التي هويتها هي الدين الإلهي ، ولا تطوير للتربية والتعليم ومناهجهما دون إعادة الاعتبار إلى هذه الهوية المحافظة على الإنسان وجوداً فعلياً لكيانه، وتوظيفاً فكراً ورأياً وممارساً حقوقاً وسعياً، واستقرار الاسرة متعلق أيضاً بالحفاظ على هذه الهوية.

والمؤمن القوي الذي جاء في حديث نبوي شريف حيث يقول: **(المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير)**.([94]) هو الشخص القوى الذي تتغلب نفسه وعقله على الخوف من الاختلاف والتنوع، يستخدمهما في تعزيز أفكاره وتقوية مواقفه، وتواجه ببسالة وحكمة كل ما يعيب هويته الانسانية، ومن ثم هويته الاسلامية.

7- تفعيل دور أهل العلم:

أهل العلم في كل زمان ومكان وبين كل أمة وشعب هم منار الهداية إلى الطريق الصحيح،إن كانوا متمسكين بالوحي والمنهج النبوي في البيان والتبليغ، وإلا فإنهم يصبحون منار الضلالة والانحراف.

ودور العلماء لا ينحصر في أمر واحد فقط ، فهو البيان للحق والتحذير من الشر، والإرشاد إلى طرق الخير، وتعليم الناس العلم بما يجب لهم في حياتهم إلى مماتهم مما أوجب الله عليهم وكلفهم به، وما حرَّم الله عليهم وغيرهما من الأمور.

ومن دورهم أيضاً توظيف الاختلاف بين الناس شعوباً وقبائل، أفراداً وجماعات إلى أهداف غايات نبيلة تخدم الحياة وتحافظ على كرامة الانسان.

قال تعالى: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)}**(95).

"والآية عامة في الأمم، كلما تفرقوا واختلفوا وابتعدوا عن منهاج الرسل بعث الله لهم رسولًا يفرق كلمة الكفر ومنهج الشهوات الذي وحدهم واجتمعوا عليه".(96)

والعلماء في ذلك ورثة الانبياء كما ورد في حديث نبوي شريف**(إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلاَ دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ).**(97)، فينوبون عنهم بعدهم في هذه الوظيفة المهمة، لما ورثوه منهم عليهم الصلاة والسلام من العلم والفهم والفكر .

وأهل العلم أشرف الناس في هذا الوجود لكبر وظيفتهم ، و أرفعهم قدراً في الآخرة لثقل الواجب عليهم ، إذا صدقت نواياهم رفعهم الله في الدنيا وفي الآخرة كما ورد في القرآن الكريم:**{ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**. (98.

فقد أثبت القرآن الكريم أن الدين الوحيد الذي يكون مسطراً لتصحيح الافكار وطريقاً لتوظيق الاختلاف في مصالح الناس هو الاسلام الذي تأريخه يعود إلى أول خلق للإنسان على هذه الكرة الآرضية، كما يظهر ذلك في صدر الآية الكريمة: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19)}**. (99)

لأن الآلف اللام على الدين تفيد الاستغراق ، فيشمل المعنى كل ما جاء به الانبياء عليهم الصلا والسلام ، "كما أن الإسلام هو دين هذه الأُمة الذي رضيه الله لها، فهو دين جميع الأنبياء والمرسلين وأُممهم من قبل محمد، فهو دين الله دائمًا في جميع الأزمان".(100)

والعلم إذا كان في درجة العلم لا يختلف عليه أحد ؛ لأنه "الواضح المتضح الذي لا شبهة فيه ولا غموض".(101)

والذي يثور الاختلاف فيما علم وثبت علمياً هو الحسد والظلم والانحراف، والتعصب للمصالح الجزئية والشخصية والفيئية، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: {بَغْياً بَيْنَهُمْ} "أي حسداً بينهم، وطلباً منهم للرئاسة، وحظوظ الدنيا، واستتباع كل فريق ناسا. أي ما كان اختلافهم إلا أثرا عن ظلمهم بسبب هذه الأشياء، وإلا فالحق أوضح من أن يختلف فيه".([102])

العلم الثابت الواصل إلى درجة العلم أساس بناء الأمم والشعوب والأوطان والحياة، وماكان الاختلاف فيه إلا عن سبب خارجي مضل عن وجه الحق.

فليس المراد فما اختلفوا حتى جاءهم العلم السمعي، بل هو أعم من ذلك وحينئذ يلزم في العلم العقلي ما لزم في السمعي، قد سمي علماً، وهو في العرف: الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ،([103]) ومثل هذا كيف يختلف فيه أو يكون سبباً للاختلاف؟ نقول ما ذكر إنما يلزم ذلك أن اختلافهم بعد مجيء العلم ليس من جهة العلم نفسه؛لأن العلم ثابت، وجهة اختلافهم أعم من ذلك، قد عينتها الآية بجهة البغي بينهم والاختلاف بغياً لا يوجب العلم غياً.([104]) فسبب الاختلاف ناشئ من جهة خارجة عن حقيقة العلم نفسه.

والاختلاف المؤدي إلى الهدم والتفرق يصلحه أهل العلم باستخدامه في بناء الانسان فكراً وعقيدة، وتقدم الأوطان والبلدان أعماراً وانشاءاً.

والمقصودُ بالعلمِ هنا كلُّ علمٍ نافعٍ يسهمُ في الإثراءِ المعرفي والفكري، ويقوي قدرةَ الانسان والمجتمع، من العلوم الشرعية، والمادية التجريبية،والعلوم الإنسانية، ومعلوم تعلم هذه العلوم من الواجبات الكفائية.

قال تعالى: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}**. ([105]).

وهذا النهي الإلهي في قوله تعالى:**{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}**، مشعر بأن الأمة الداعية لابد وأن يكونوا من أهل العلم الذين اجتازوا مرحلة الاختلاف المؤدي إلى التفرق، لا يجوز لهم أن يجعلوا الاختلاف مصدراً للتفرق، بل مصدراً للوحدة، والتجمع، والتقوية، والتماسك.

واليوم نرى الوجه الآخر الذي استخدم العلم في مجالات بجانبيه السلبي والايجابي، دول سيطرت على العالم كله من الشرق إلى الغرب، متحكمة فيها بالعلم والتكنولوجيا بنت قوة اقتصادية هائلة، وأنتجت لوازم وحاجيات لا يستغني عنها شعب أو دولة، و صنعت رفاهية سياسية واقتصادية واجتماعية لشعوبها ومستوطنيها، وشكلت قوة

عسكرية متقدمة أرعبت بها دولاً وأمماً، وأرغمت بها أنوف جميع أعدائها ، هذا بالنسبة لها استخدام للعلم ايجاباً ، وبالنسبة للدول الضعيفة المتأخرة يكون استخداماً للعلم سلباً.

والعلم في منظور القرآن الكريم هو مصدر تشريف لا مصدر اهانة وتذليل، إذا لم يقترن به العمل الذي ينفع صاحبه وأمته من بعده، قد يكون علماً مصدراً للشقاء والذلة، لأن كرامة الانسان يصان بالعلم لا بالجهل، وكل علم مس هذه الكرمة بالسوء لا يعتبر علماً.

ولعلَّ أهم صفات العلماء الذين يُنتظر منهم أن يقودوا الأمة عند الاختلاف والاضطراب إلى شاطئ الأمان الفكري والعلمي، هي صفة الخشية من الله تعالى التي حصر ها فيهم في قوله تعالى: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}**.([106]).

ومن مقتضى خشية الله أن لا يلتفتوا إلى الأهواء منهم ومن غيرهم. ولا ينتمون إلى جماعة ولا فئة ولا نظام و حزب غير حزب الله تعالى و رسالته سبحانه المنزل إلى البشر وهو القرآن الكريم.

المراد بتوظيف الخلاف ، هو ترك مساحة الاختلاف بين الفقهاء والعلماء في مفهوم من الأحكام الشرعية ونصوص القرآن مفتوحاً غير محسوم؛ لأنها ليست على درجة واحدة من حيث القطع والجزم، فالله سبحانه لما أنزل القرآن لم يرد أن يجعل الفهم من الآيات جميعاً بمرتبة واحدة، فبعضها تدل على أحكام تعتبر من قبيل الضرورات التي لا يمكن أن يجهل، وهناك آيات تدل على أحكام من المسائل القطعية المجمع عليها، وهناك آيات تدل على أحكام قد اختلف العلماء في الراجح من مراد الله فيها، واختلافهم راجع إلى ذات النصوص لم يرد الله سبحانه وتعالى أن يقطع في معنى واحد فقط، إنما يبقى مساحة للاجتهاد والنظر حتى يتوصل الانسان إلى الراجح منها في كل عصر.

"ولكن جرت سنة الله أنه رغم الاختلاف فإنه يهدي بالكتاب المؤمنين الخالصين إلى الصراط المستقيم، فالآية تبيّن حكمة بعثة الرسل، وتبيّن حكمة إنزال الكتاب، وتبيّن رحمة الله بأهل الإيمان الذين لا بغي عندهم. وهي بهذا تخدم الأمر بالدخول في الإسلام كله: فإذ بعث الله محمداً صلّى الله عليه وسلّم بشيرا ونذيرا، أنزل معه الكتاب حاسماً لكل خلاف، فالدخول في الإسلام الذي بعث به محمد صلّى الله عليه وسلّم هو الطريق الوحيد للبشرية لتحسم خلافاتها بالحق وبالوحي وبالكتاب.([107])

وهذا الاهتداء هو التوظيف المقصود من قبل أهل العلم يتركون مساحة الاختلاف مفتوحاً وهم يستفيدون منه قدر الحاجات والمقتضيات، لتوفير لوازم السعادة والرفاهية والبناء الراقي للحياة.

اختلاف الرأي والفكر لا يفسد للود قضية عند العلماء الربانيين والنابغين، وكذلك عند طلَبة العلم الصادقين، الذين غرَضُهم جمع كلمة المسلمين على الحق، الباحثون عن ضالة المؤمن المنشود، ولو كانت على لسان أصغر منهم علماً وسنًّا وشأنًا، لا يَحيدون عنها قيد شَعرة، اذا كانت مثبتة بأدلة وعلم.وخير شاهد موقف إمامنا الشافعي رحمه الله حينما ناقش يونس الصدفي ([108]) فيقول: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوماً في مسألة، ثم افترقنا ولقيته، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة".([109])

8- معلم لإجراء الحوار والجدال والمحاججة.

الجِدالُ: هو" المفاوضَةُ على سبيل المُنازعَة والمغُالَبة،" ([110]) أو هو "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة أو يقصد به تصحيح كلامه".([111]) والحوار حديث بين شخصين متكلم و مخاطب من تبادل الكلام و مراجعته. ([112]) والمحاججة هي مجموعة من الأساليب والتقنيات التي تقوم في الخطاب بوظيفة وهي حمل المتلقي على الإذعان بما يفرض عليه.([113])

هذه المصطلحات تدل على شيئ وهو وجود الاختلاف، اذا لم يوجد اختلاف فلا حاجة إلى الحوار ولا الجدال ولا المحاججة، فالمساحة التي تجري فيها هذه المصطلحات وتلعب فيها دورها هي مساحة الاختلاف بين الافراد.

والهدف من توظيف هذه المصطلحات وأمثالها هي توليد أفكار جديدة وتوضيح المعاني، والوصول إلى الحق في مجال مختلف عليه ، ويقتضي الحوار جوّاً مليئاً بالألفة والمحبة، والهدوء، والاحترام المتبادل، وحسن النية.

والمصطلحات مختلفة المعنى ولكنها متقاربة في مؤدّاها واهدافها، من بيان الرأي فيما فيه الاختلاف، وإقامة الحجّة، وردّ المخالف، باسلوب مناسب، والدفاع عن الرأي بدليل.

وهذا لا يختصّ بمسألة خاصة، بل هو عام شامل لكلّ المسائل الخلافيّة؛ من العلوم الإسلاميّة وغيرها.

فالحوار يمكن أن نسميه السحر الحلال، وهو كلام ساحر يأسر عقول الناس وأفئدتهم، لأنه كلمات طيبة تخرج من طيب لطيب ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (الكلمة الطيبة صدقة).([114])

قال تعالى في القرآن الكريم: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)}.** ([115])

"وإذ تتقرر حقيقة الإسلام وحقيقة الاختلاف فيه من قبل، فإن الله- عزّ وجل- يوجه رسوله أنه في حالة محاجة أهل الكتاب له في الإسلام المنزل عليه،.... فإن عليه أن يعلن أنه هو وأتباعه مسلمون وجوههم لله، مخلصون لله عبادتهم، فقد أمر الله رسوله عليه السلام أن يدعو إلى طريقه ودينه والدخول في شرعه، وما بعثه الله به الكتابيين والأميين من المشركين، ثم بين تعالى أنهم إن أسلموا وتابعوا اهتدوا، وإن أصروا على ما هم عليه فليس على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثم في ذلك، إذ عليه البلاغ وقد قام به، وعلى الله حسابهم، وإليه مرجعهم ومآلهم."([116])

هذا هو المعلم الحقيقي للحوار ، اذا ثبت الاختلاف في شيء فالعلاج الوحيد هو الحوار والمحاججة والجدال بالتي هي الأحسن، ترغيباً للتقارب وحرصاً على الحق وثبات المجتمعات.

و جميع مدارس الفكر الأصولي، والمنطقي، والفلسفي، والكلامي وغيرها، كانت مبنية على مناهج المحاججة العلمية، وهي دليل واضح على أن الفكر الإسلامي صالح للجميع مكاناً وزمناً.

والخلاف والاختلاف سنة من السُنن إلهية بين الناس مُنذ الأزل ، وهو سنَّة الله في خلقه جميعاً ، مختلفون في الألوان، والأنفس ، والألسن، والطبائع، والفهوم والعقول ، وكل ذلك يدل على أن الخلق من آيات الله، كما في قوله تعالى:**{ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ}**.([117])

فمادام الأمر هكذا فالله تعالى خلق في الإنسان ما يمكنه من خلاله توظيف ذلك الاختلاف في المصالح .

9- طريق لكسب المعرفة وتفعيل العقل

طرق المعرفة هي العمليّات العقلية التي ينجزها الانسان لكسب المعارف، من التفكير، والتعلم، والإدراك، كما أن المعرفة وسيلة من الوسائل التي يَستخدمُها الإنسان للتعرُّف على السلوكيّات المتبعة، فالمعرفة تدل على ارتباط الإنسان بالسلوكيّات التي يتَّبعها من خلال الإدراك والتعلُّم الذي يتمّ في المحيط الخاصّ به.([118])

ومن خلال النظر إلى قوله تعالى: **{إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (6)}.** ([119])

يظهر لنا المجال الواسع لكسب المعرفة إذا تم النظر والتعمق في هذا الاختلاف الوارد في الليل والنهار، عندما يقول: **{لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ}** "أي يتقون الله باتقاء عقابه وسخطه وعذابه، خصهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر، كأن الله عزّ وجل بعد أن أقام الحجة على ضرورة إنزال الوحي من خلال ذكره عنايته بخلقه، نبه تعالى أن الآيات في هذا الكون التي تدل على كمال عنايته لا يعرفها ولا ينتفع بها إلا المتقون، فلا يستغرب إذن أن يكون كثير من الناس بمنأى عن الانتفاع، وبالتالي فهم مبتعدون عن الوحي المنزل".([120])

يُعتبَر تفكير الإنسان في الاختلاف والصور المختلفة من الأمور التي تُساعده في كسب على المعرفة، وكذلك الاختلاف في الرأي والفكر يكون طريقاً سهلاً للمعرفة أَخْذاً برَأي أهل الرأي والتعايش مع التنوع، وهذه الطريقة قديمة العَهد، منذ خلق الانسان سائد، والعاقل ملزم بالتفكر فيه؛ لذلك قال تعالى: { **أَفَلَا تَعْقِلُونَ) "يَعْنِي أَلَيْسَ فِيكُمْ عُقُولٌ تعتبرون بها"**.([121]) وتستفيدون منها تحصلون على المعرفة و توسع دائرة التفكير فيكم.

يستطيع الإنسان الحصول على المعرفة من خلال استخدام الحواسّ الخمس المختلفة؛ فيقوم العقل بنَقْل تلك المعلومات؛ حتى تستندَ إليها عمليّات عقليّة قائمة على التحليل، والتمييز، والاستنتاج، وتُعتبَر الحواسّ ناقلة لجميع المعلومات الحسّية، فمن خلال استنشاق الروائح المُختلفة وتمييز بعضها عن بعض، أو من خلال حاسّة اللمس والتمييز بين المَلمس الخشن والناعم، أو استخدام السمع والتمييز بين الأصوات المُختلفة، أو من خلال العين يتمكن العقل من الحصول على المعرفة([122]).

وهذه الحواس أنفسها حواس مختلفة تعطي كل منها معرفة للانسان، في أحوال متنوعة ، وظروف متغايرة.

ويجلب القرآن أنظار الإنسان إلى كسب المعرفة وتفعيل العقل بالتفكر والتعمق في فيما يراه حوله من مخلوقات ذات قيمة كبيرة في حياته، من السماء والار ض، والليل والنهار، والفلك الجارية في البحار ، وانزال الامطار، وتصريف الرياح والسحاب وغيرها، قال تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)}**.([123])

لأن " الحكمة التي أقيم عليها نظام هذا العالَم اقتضَت أن يكون نظام عقول البشر قابلاً للتطوُّح بهم في مسلك الضلالة، أو في مسلك الهُدى على مبلغ استقامة التفكير والنظر، والسلامة من حجب الضلالة، وأن الله تعالى لما خلق العقول صالحةً لذلك، جعل منها قبول الحق بحسب الفطرة التي هي سلامة العقول من عوارض الجهالة والضلال وهي الفطرة الكاملة ..... لم يدَّخرهم إرشادًا، أو نصحًا بواسطة الرسل ودعاة الخير ومُلقِّنيه من أتباع الرسل، ..... فمن الناس مهتدٍ وكثير منهم فاسقون، ولو شاء لخلَق العقول البشرية على إلهام متَّحد لا تعدوه كما خلق إدراك الحيوانات العجْم على نظام لا تتخطَّاه من أول النشأة إلى انقضاء العالَم، فنجد حال البعير والشاة في زمن آدم - عليه السلام - كحالِهما في زماننا هذا، وكذلك يكون إلى انقراض العالم، فلا شك أن حكمة الله اقتضت هذا النظام في العقل الإنساني؛ لأن ذلك أوفى بإقامة مراد الله تعالى من مَساعي البشر في هذه الحياة الدنيا ..... فلو خُلق الإنسان كذلك لما كان العمل الصالح مُقتضيًا ثواب النعيم ولا كان الفساد مقتضيًا عقاب الجحيم".([124])

وفي قوله تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (22)}**.([125])

اظهار وارشاد إلى طريق تفعيل العقل بطريقة سهلة وبسيطة، بحيث لايحتاج إلى كثرة التفكر والتعمق، ولا يخص بأنس مختصين في مجالات علمية خاصة، بل جعل كل ماورد في الآية دلائل و"آيَاتٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ مُقَرَّرٌ مَعْلُومٌ لَدَيْهِمْ يُمَكِّنُهُمُ الشُّعُورَ بِآيَاتِهِ بِمُجَرَّدِ الْتِفَاتِ الذِّهْنِ دُونَ إِمْعَانِ نَظَرٍ".([126])

الخاتمة

بعد معايشة مع مفردات هذا البحث توصلت في النهاية إلى مجموعة من النتائج منها:

1- أن الاختلاف سنة كونية ذات حكمة إلهية رفيعة، لا يمكن التغافل عنها مهما كان الاختلاف.

2- تصنيف مكونات المجتمع على الجماعات والفئات والاحزاب ما كان إلا لهدف وغاية سامية وهي مفتاح التعامل مع المختلفين في المجتمعات كل حسب ما يقتضيه.

3- الاختلاف له آثار سلبية منها العداوة والبغضاء والتنافر والتناحر والتقاطع وغيرها مما يؤثر على تماسك المجتمع وتعاون الافراد في بناء الحياة.

4- القرآن الكريم علمنا طريقاً صحيحاً لتوظيف الاختلافات في المصالح وبناء المجتمع مجتمعا لائقاً بالحياة .

5- أثبت القرآن الكريم أن الاختلاف لا يعنب التنافر والتباغ والتنافر، بل هو وسيلة للتطور والتقدم والازدهار.

6- الاختلاف هو محل انتهاء الخلاف، فعلى المخالفين في المجتمعات الاسلامية أن يقوموا بتحويل الخلاف إلى الاختلاف، فيترتب عليه قبول الآخر المخالف على ما هو عليه، والتعامل معه على أساس .

7- ظهر لنا أن التعامل مع الاختلاف بهذا المنظار القرآني يولد طاقات فكرية وعلمية هائلة توظف في صالح الانسان.

8- الانسان بصورة عامة والمسلمون بصورة خاصة أكبر من أن يتحروا النوازع النفسية والاحقاد والاضغان التي تورث التباعد والتنافر، فيقعوا في وبالها، وتتأثروا بها في بناء حياتهم الكريمة.

Abstract of the research

The word difference indicates interaction and participation, and it only occurs between two or more. Its linguistic meaning revolves around corruption, failure, opposition, and disagreement. All of these meanings can be mentioned in disagreement and contradiction that do not build or aim for a lofty goal, and do not achieve the interest of the individual and society.

The word difference has been used sometimes for dispute and argument, and it is not necessary or absolute from its wording, but rather it goes back to people's custom, because since the difference between people in speech requires dispute, it was borrowed for dispute and argument in this regard.

When we take a careful look at the Holy Quran, it becomes clear to us that it mentioned many types of components of society, mentioning polytheists, hypocrites, people of the book, apostates, immoral people, and oppressors, this on the one hand, and on the other hand also it divides society into groups, parties, groups, sects, sects, categories, and others.

On the other hand, it is divided into peaceful and combatants, or oppressors and tyrants, believers and benefactors, and other names and classifications.

These classifications of human society must have a goal, and perhaps a great purpose has been hidden behind it, or behind it are goals, wisdom and philosophy that most of which man does not understand.

We point out the wisdom, goals and objectives of the characteristic of difference from what appears to us through contemplation of the texts of the Qur’an and the reality that bears witness to God’s perfect creation in points including:

1- That this classification is the key to how to deal between members of society, and that the credit for difference goes back to the works and services that it provides within society, so based on the percentage of participation in it, it rises to known levels of humanity.

And that humanity is a realistic framework in which everyone falls, so no one among human beings is excluded from it, and accordingly there is no room for continued conflict and fighting, and this framework requires agreement and investigation to strengthen ties and facilitate the paths of relationships.

2- Moral harmony between man and the universe: Everything in this existence, small and large, beneficial and harmful, has a relationship with man's life to help him perform his function in some way.

3- Distribution of roles in building society: When man imagines that he alone is responsible for the matter, he will have a behavior and perception that may lead him to procrastination and despair, but when he imagines that there are others with him who have a role like him, the matter of this society will be regulated, and they will bear responsibility with him, and alleviate the hardships of construction, and then he will have another behavior.

4- Explaining what is permissible and forbidden among human beings: One of the wisdoms of classification is explaining what is permissible and forbidden among members of society.

5- Preserving rights and duties in human society: One of the philosophy of classification for members of society is preserving rights and duties.

6- Preserving Islamic identity: The culture of difference contributes to strengthening the identity of the Islamic nation, and preserves the authentic values that motivate respect for human dignity.

7- Activating the role of scholars: Scholars in every time and place and among every nation and people are a beacon of guidance to the right path, if they adhere to the revelation and the prophetic method.

8- A teacher for conducting dialogue, debate and argumentation. The goal of employing these terms and their likes is to generate new ideas, clarify meanings, and reach the truth in a disputed field.

9- A way to gain knowledge and activate the mind: The methods of knowledge are the mental processes that a person

accomplishes to gain knowledge, from thinking and learning, and knowledge is also a means that a person uses to learn about the behaviors followed.

المصار والمراجع

1. آداب الحوار وقواعد الاختلاف، عمر عبد الله كامل، بحث مقدم إلى مؤتمر الارهاب ، في السعودية، موقع وزارة الأوقاف السعودية.
2. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ .
3. استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق احمد الدسوقي، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر الطبعة الأولى (1389 هـ - 1970م).
4. الإسلام في قفص الاتهام , د. شوقي ابوخليل، دار الفكر، دمشق، سوريا ، الطبعة الثالثة عشرة: (1427هـ -2006م).
5. الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (المتوفى 716 هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
6. الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(288هـ/ 356هـ)، دار الكتب العلمية، طبعة 1398هـ 1978م، بيروت.
7. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1434هـ، 2013م.
8. تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية - 1387 هـ.
9. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.
10. تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب ،علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، 1416 هـ - 1995 م.
11. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1405هـ ، تحقيق: إبراهيم الأبياري .

12. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م.
13. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
14. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ، 1973 م)،(1414 هـ، 1993 م).
15. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت , دمشق، الطبعة الأولى ، 1410، تحقيق: د. محمد رضوان الداية.
16. جدليات الشورى والديمقراطية ، د.احمد الموصلي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى (شباط 2007م).
17. حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، الطبة الخامسة (1422 هـ، 2002م).
18. خوارق اللاشعور أو اسرار الشخصيه الناجحه، علي الوردي، دار الوراق للنشر،لندن، الطبعة الثانية، 1996م.
19. دراسة إدارة المعرفة، جامعة بسكرة .الجزائر. 2005 م.
20. دعوة للتعايش، عمرو خالد، الدار العربية للعلوم، طبعة 2008 م.
21. سنن ابن ماجة ، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
22. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1427هـ -2006م.
23. الشباب والهوية الإسلامية،محمد طاهر حكيم، الجامعة الإسلامية العالمية،مجمع البحوث الاسلامية، محرم 1440 هـ .
24. شرح تفسير ابن كثير ، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، http://www.islamweb.net.
25. الصحاح؛ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة- يناير 1990م.
26. صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993م،، تحقيق : شعيب الأرنؤوط.
27. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، بيروت، دار ابن كثير ، 1423هـ/2002م .
28. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

29. طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 1413 هـ - 1993 م.
30. غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، د. يوسف القرضاوي، مكتبة الوهبه القاهرة ، الطبعة الثالثة (1413– 1992 م).
31. الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم.
32. فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 927 هـ)، تحقيق وتخريج: نور الدين طالب، دار النوادر، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م.
33. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: 743 هـ)، التحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434 هـ - 2013 م.
34. فلسفة التربية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني، دار الوراق، دار القلم، دبي، الطبعة الثانية (1423 هـ -2002 م).
35. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر ، القاهرة، طبعة الثانية والثلاثون، 1423هـ ، 2003م.
36. كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1419هـ - 1998م. ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.
37. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد على التهانوى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبع 1996 م.
38. مجلة الأزهر السنة 50 رمضان 1398 الجزء الخامس.
39. مجلة البيان، مجموعة من المؤلفين ، ذو القعدة - 1423هـ، يناير - 2003م، السنة : 17.
40. مجلة حراء، العدد (13)، السنة الرابعة، أكتوبر (2008م).
41. المدخل إلى علم الجمال، هيغل ، دار الطليعة ، لبنان،بيروت، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثالية، 1988م.
42. مصادر المعرفة، أ.مهدي محمد جواد محمد ابو عال، www.uobabylon.edu.iq،اطّلع عليه بتاريخ 2019/9/10.
43. المصباح المنير في غريب شرح الوجيز. الفيومي، أحمد بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت.
44. معاني الفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، سعيد فاهم ، رسالة الماجستير مقدمة إلى جامعة مولود معمري في الجزائر، باشراف د. السعيد حاوزة،2011م.

45. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، ومؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ.
46. المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، ديسمبر 1998 م.
47. المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
48. معركة التقاليد ، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة التاسعة عشرة (1427هـ-2006م).
49. مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ.
50. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/ 1992م.
51. من وحي القران، العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر، لبنان، حارة حريك، الطبعة الثالثة، 2018م.
52. منهج النبي في حماية الدعوة ، الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكرالإسلامي، هيرندن ، فيرجينيا، الطبعة الأولى(1416هـ - 1996 م).
53. موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام ، خديجة البزاوي ، دار السلام ، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى (1427هـ -2006 م).
54. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

---

(1) - يونس (6).
(2) - التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى، (1393 هـ _ 1973 م) - (1414 هـ _ 1993 م)،(53/4).
(3) - طه (53).
(4) - الزخرف (10).
(5) - الأنبياء(30).
(6)- الأمالي في لغة العرب، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي(288هـ/ 356هـ)، دار الكتب العلمية، طبعة 1398هـ 1978م، بيروت،(159/1).
(7) - التوبة (81).
(8) - الصحاح؛ إسماعيل بن حماد الجوهري (ت393هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة الرابعة- يناير 1990م، (45/2).
(9) - الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة – لبنان، الطبعة الثانية، تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم،(387/1 – 390).

(10)- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية،(251).
(11) ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ط2، دار القلم، دمشق، سنة 1412هـ/ 1992م: (294).
(12) ـ المصباح المنير في غريب شرح الوجيز. الفيومي، أحمد بن محمد، المكتبة العلمية، بيروت: (179).
(13) ـ التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، ط الأولى 1416هـ/ 1996م: (135).
(14)- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الفكر المعاصر , دار الفكر - بيروت , دمشق، الطبعة الأولى ، 1410، تحقيق: د. محمد رضوان الداية،(42).
(15)- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، ومؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ،(28).
(16) ـ النساء (82).
(17)كتاب الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م. ،تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، (70).
(18) ـ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد على التهانوى، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبع : 1996م،(227/1).
(19) ـ المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي، (239، 241).
(20) ـ كما في قوله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، آل عمران (28)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البقرة (135)، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ النساء (61) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ البقرة (208)، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ المائدة: (25).
(21) ـ البقرة (62).
(22) ـ شرح تفسير ابن كثير ، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، **http://www.islamweb.net** (36/4).

(23)- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، (174/1).
(24) ـ الحج (17).
(25) ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم،(1194/9).
(26) ـ الروم (22).
(27)- التحرير والتنوير،(73/21).
(28) ـ التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون،(41/6).
(29) ـ النحل (13).
(30) ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،(203/11).
(31) ـ فاطر (28).
([32]) ـ تفسير الأمثل (172/1) بتصرف يسير.
(33) ـ خوارق اللاشعور أو اسرار الشخصيه الناجحه، علي الوردي، دار الوراق للنشر،لندن، الطبعة الثانية ، 1996م،(51).
(34) ـ المدخل إلى علم الجمال، هيغل ، دار الطليعة ، لبنان،بيروت، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثالية، 1988م، (87 - 88).
(35) ـ النحل (64).
(36) ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم(641/5).
(37)- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مصر ، القاهرة، طبعة الثانية والثلاثون، 1423هـ ، 2003م، (447/4)
(38) ـ الذاريات،(49).
(39) ـ البقرة،(253).

(40) ـ تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م،(7/3).
(41) ـ المصدر السابق،(7/3).
(42) ـ التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون(448/1),
(43) ـ البقرة، (176).
(44) ـ في ظلال القرآن (261/1).
(45) ـ البقرة ،0213).
(46) ـ المصدر السابق،(193/1).
(47) ـ ينظر التحرير والتنوير،(301/2). بشيئ من التصرف.
(48) ـ ينظر: آداب الحوار وقواعد الاختلاف، عمر عبد الله كامل، بحث مقدم إلى مؤتمر الارهاب ، في السعودية، موقع وزارة الأوقاف السعودية (50).

(49) ـ ينظر: معركة التقاليد ، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة التاسعة عشرة (1427هـ-2006م). (13) ، والإسلام في قفص الاتهام ، د. شوقي ابوخليل، دار الفكر، دمشق، سوريا ، الطبعة الثالثة عشرة: (1427هـ -2006م). (157-160).
(50) ـ آل عمران: (61).
(51) ـ المباهلة تعني معنيين : احدهما: إن الابتهال هو الاجتهاد في الدعاء وإن لم يكن باللعن ؛ والثاني: أنه مأخوذ من قولهم: عليه بهلة الله، أي: لعنته، وأصله مأخوذ مما يرجع إلى معنى اللعن؛ لأن معنى اللعن هو الإبعاد والإطراد، وقال الراغب: الابتهال في الدعاء: الاسترسال والتضرّع، ومن فسّر الابتهال باللعن فلأجل أن الاسترسال في هذا المكان لأجل اللعن. مفردات ألفاظ القرآن: (149)، ومفاتيح الغيب: (8/72-73)، ونظم الدرر: (107/2).
(52) ـ النساء: (1).
53) فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (المتوفى: 743 هـ)، التحقيق: إياد محمد الغوج، د. جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى، 1434هـ - 2013 م. (402/4).
(54) ـ الأعراف: (35).
(55) ـ ينظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ، د. يوسف القرضاوي، مكتبة الوهبه القاهرة ، الطبعة الثالثة (1413– 1992 م)، (5) ومابعدها ، وحقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر، الطبة الخامسة (1422 هـ - 2002 م). (13) وما بعدها.
(56)– الروم: (22) .
(57)ـ فتح الرحمن في تفسير القرآن، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي (المتوفى: 927 هـ)، تحقيق وتخريج: نور الدين طالب، دار النوادر، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م،(280/5).
(58) ـ الحجرات (13).
(59) ـ دعوة للتعايش، عمرو خالد، الدار العربية للعلوم، طبعة 2008 م، (21).
(60) ـ محمد بن إسماعيل البخاري ، صحيح البخاري، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، ، بيروت: دار ابن كثير ، 1423هـ/2002م ، رقم 1307، (84/2).
(61)ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، رقم (1311)، (83/2).
(62)ـ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز ، باب القيام للجنازة ، رقم (1312)، (83/2).
(63) ـ المائدة (2).
(64) ـ الأعراف (199).
(65) ـ آل عمران (104).
(66) ـ ينظر: مجلة حراء (47) العدد (13)، السنة الرابعة، أكتوبر (2008م).
(67) ـ البقرة: (284).

(68) ـ آل عمران: (29).
(69) ـ النساء: (131).
(70) ـ النساء: (170).
(71) ـ الحج: (63 - 66) .
(72) ـ لقمان: (20).
(73) ـ ينظر : من وحي القرآن ، السيد محمد حسين فضل الله، دار الملاك للطباعة والنشر، لبنان، حارة حريك، الطبعة الثالثة، 2018م ، (16 / 123).
(74) ـ الرعد (3 - 5)، كذلك الآيات (6- 14) من سورة النحل، والآيات (65 - 70) منها، والآيات (53 -55) من سورة طه، والآيات (6 -25) من سورة الروم .
(75) ـ البقرة (30).
(76) ـ استخلاف الإنسان في الأرض ، فاروق احمد الدسوقي، دار الدعوة، الاسكندرية، مصر الطبعة الأولى (1389 هـ - 1970م)، (12)، ومنهج النبي في حماية الدعوة، الطيب برغوث، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندن ، فيرجينيا، الطبعة الأولى (1416هـ - 1996 م). (81).
(77) ـ المدثر (38).
(78) ـ مريم (93).
(3)ـ مجلة الأزهر السنة 50 رمضان 1398 الجزء الخامس.
(80) ـ المؤمنون (51 - 56).
(81) ـ الأنبياء (92 - 94).
(82)ـ ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م،(17/ 104). و الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام – القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ ، (3503/7).

(83) ـ النساء (23).
(84) ـ ينظر: فلسفة التربية الإسلامية ، ماجد عرسان الكيلاني، دار الوراق، دار القلم، دبي، الطبعة الثانية (1423 هـ -2002 م). (348).
(85) ـ الإسراء (70).
(86) ـ ينظر: جدليات الشورى والديمقراطية، د.احمد الموصلي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى (شباط 2007م). (137 - 140).
(87) ـ النساء (11).
(88) ـ الأنعام من الآية (151).
(89) ـ الرحمن (7 - 9).
(90) ـ ينظر: موسوعة حقوق الإنسان في الإسلام ، خديجة البزاوي ، دار السلام ، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى (1427هـ -2006 م). (10 -11).
(91) ـ ينظر الشباب والهوية الإسلامية، محمد طاهر حكيم،(5).
(92) ـ تاريخ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، دار التراث، بيروت، الطبعة الثانية، 1387 هـ، (518/3) ، وتخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب ،علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، 1416 هـ - 1995 م،(206/1).
(93) ـ ، مجلة البيان، مجموعة من المؤلفين ذو القعدة - 1423هـ، يناير - 2003م، السنة : 17. (54).
(94) ـ أخرجه مسلم في صحيحه باب في الامر بالقوة وترك العجز، برقم (6945)، (2052/4).
(95) ـ البقرة (213).
(96) ـ التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، الأستاذ الدكتور مأمون حموش، المدقق اللغوي: أحمد راتب حموش، الطبعة الأولى، 1428 هـ - 2007 م، (551/1).

(97) ـ أخرجه ابن ماجة في سننه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، برقم(223)، (81/1). وابن حبان في صحيحه، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ، 1414 – 1993م،، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، (289/1)، قال شعيب الأرنؤوط : حديث حسن.

(98)ـ المجادلة (11).

(99)ـ آل عمران (19).

(100) ـ التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعةالأولى، (1414 هـ = 1993 م)،(535/1).

(101) ـ الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ،(725/2).

(102) ـ المصدر السابق (725/2).

(103) ـ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ، 1405هـ ، تحقيق: إبراهيم الأبياري ،(١٥٥).

(104) ـ ينظر الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عيد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (المتوفى 716 هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م، (333/1). بشيء من التصرف.

(105)ـ آل عمران (104_ 105).

(106)ـ فاطر من الآية (28).

(107) ـ الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)،دار السلام، القاهرة، الطبعة السادسة، 1424 هـ،(3248/6).

(108) ـ هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن خباب الصدفي أبو موسى المصري، أحد أصحاب الشافعي،توفي غداة يوم الاثنين ليومين مضيا من ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين، وكان مولده في ذي الحجة سنة سبعين ومائة. طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، طبعة 1413 هـ - 1993 م،(160/1 -164).

(109) ـ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة 1427هـ -2006م،(240/8).

(110) ـ المفردات في غريب القرآن (97).

(111) ـ التعريفات ،(101).

(112)ـ ينظر المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية،(205/1).

(113) ـ معاني الفاظ الحجاج في القرآن الكريم وسياقاتها المختلفة، سعيد فاهم ، رسالة الماجستير مقدمة إلى جامعة مولود معمري في الجزائر، باشراف د. السعيد حاوزة،2011م، (17).

(114) ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الادب ، باب طيب الكلام، (6023)، (14/8).

(115)ـ آل عمران(19-20).

(116) ـ الأساس في التفسير،725/02).

(117)ـ الروم(22).

(118) ـ ينظر دراسة إدارة المعرفة، الجزائر، جامعة بسكرة، (3 ، 9).

(119) ـ يونس (6).

(120) ـ الأساس في التفسير،(2428/5).

(121) ـ مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة - 1420 هـ،(355/26).

(122) - مصادر المعرفة، أ.مهدي محمد جواد محمد ابو عال (2013/5/22)، " www.uobabylon.edu.iq، اطّلع عليه بتاريخ 2019/9/10. بشيء من التصرّف.
(123) - البقرة (164).
(124)- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، طبعة 1984 هـ،(188/12).
(125) - الروم (22).
(126) - المصدر السابق (75/12).